بقلم: شلومو آرئيل

التجربة الإسرائيلية ـ اليهودية

الموجة الحالية من العنف الفلسطيني ـ الإسرائيلي صدمة نفسية جماعية أم علاج لصدمة؟

نحن الذين نتخصص بالصحة العقلية، نتدرب كي نكون متورطين عاطفيا، ومنفصلين مع ذلك، نحسن الاستبطان، والتحكم بأفكارنا وردود أفعالنا. وهذه مطالب مبالغ فيها. وهي تزداد مبالغة عندما تتعلق بحالة مروّعة وشريرة، مثل موجة العنف الفلسطينية ـ الإسرائيلية الحالية.

مع ذلك، فسوف أبذل أفضل ما لدي من جهد للالتزام بتلك الشروط المهنية، في المحاولة التالية لوصف الطريقة التي تُرى فيها الأمور من وجهة النظر الإسرائيلية ـ اليهودية وتحليلها. وبسبب رغبتي في تفسير الهياج العاطفي والارتباك العقلي لديّ ولدى شعبي، سأبذل جهودا منظمة في تطبيق مفاهيم نظرية، تقود عملي، الذي يتعلق بدور الثقافة وتغير الإتيولوجيا (علم أسباب الأمراض) الخاصة بعلم النفس المرضي.

الهجرة والاستيطان اللتين بدأ بهما اليهود مع نهاية القرن التاسع عشر، إلى البلاد التي لم يكف اليهود عن تسميتها أرض إسرائيل، قوبلت منذ البداية بدورات من العنف الفلسطيني، والمقاومة العربية بعد ذلك، والانتقام الإسرائيلي الذي لا يقل عنفا، وهو ما تسبب في موت وشقاء لدى الجانبين. وموجة العنف الحالية ليست لها سابقة في حجمها وقسوتها وشراستها من قبل الجانبين. والإحصاءات الرسمية التي أصدرها الناطقون الرسميون في جيش الدفاع الإسرائيلي تحصي ٢٠,٠٠٠ هجوم على اليهود من قبل الفلسطينيين منذ أيلول ٢٠٠٠ حتى الآن. وهذه الهجمات تصنف تحت الفئات التالية، بعد استثناء الهجمات العسكرية وشبه العسكرية ضد مواقع الجيش: قذف المدنيين بالحجارة، بما في ذلك قذف يهود يصلّون عند حائط المبكى وأماكن عبادة أخرى، طعن عشوائي للمارة أو زملاء العمل اليهود في مكان العمل، دهس المشاة بالسيارات، الإعدام دون محاكمة، القصف العشوائي وإطلاق

*خبير في الصحة النفسية.

النار على المدنيين في الأماكن العامة، مهاجمة مركبات المدنيين وإطلاق النار عليها، بما في ذلك حافلات المدارس وسيارات الإسعاف، إطلاق النار على بيوت الناس في الأماكن السكنية، التفجيرات، والتفجيرات الانتحارية في الأماكن العامة مثل الحافلات والمطاعم وأماكن اللهو وأماكن العبادة، اقتحام بيوت الناس وقتل عائلات كاملة خلال نومها، السيارات المفخخة في الأماكن العامة، تسميم الطعام، حرق الكنس وأماكن العبادة الأخرى، الخ، الخ. وفي عدد غير قليل من الحالات أزيلت عائلات كاملة عن وجه الأرض في هجوم واحد. عدد الإصابات الإسرائيلية بين اليهود وغير اليهود تصل حتى الآن إلى ألف قتيل بينهم ٨٠٠ مدني، و٦٥٠٠ جريح بينهم ٥٠٠٠ مدني. هذه القائمة تضم الهجمات الناجحة فقط. الناطقون الرسميون للجيش أعلنوا أن ٩٠٪ من خطط الهجوم، أو محاولاته أحبطت أو منعت. وقد استخدمت إسرائيل أساليب مثل حظر التجول اليومي وحواجز الطرق التي تجعل حياة الفلسطيني العادي اليومية لا تطاق، والاعتقالات الوقائية واغتيالات الناشطين الفلسطينيين بحجة أنهم «قنابل موقوتة» ـ والأخير كثيرا ما أخذ معه أرواح مدنيين أبرياء، لأن أولئك الناشطين يختبئون في أماكن كثيفة السكان ـ إطلاق الرصاص المطاطي على المتظاهرين، تدمير مناطق تستخدم لإطلاق النار، هدم عقابي لمنازل عائلات الناشطين، ومثل ذلك. ضحايا هذه الأفعال، وكثير منهم من المدنيين الأبرياء، وترتفع إلى ثلاثة أضعاف الضحايا اليهودية للهجمات الفلسطينية. معظم اليهود الإسرائيليين على أية حال يقبلون كحقيقة، الإعلان الذي يقول إن ٩٠٪ من الهجمات الفلسطينية التي خطط لها، أو بدأت محاولتها أحبطت أو منعت. وهم يسمحون لموقفهم من تلك الموازين المضادة القاسية والمثيرة للجدل قانونيا بأن يتأثر، ليس بما حدث وحسب، ولكن بما يعتقدون أنه كان من الممكن أن يحدث أيضا. ما كان يمكن أن يحدث، يحتمل أن يصبح، كما يرونه، مجازر شاملة لليهود، إبادة جماعية، هولوكوست أخرى.

باختصار، منذ أيلول ٢٠٠٠، تظهر الثورة الصهيونية أمام العديد من الإسرائيليين وكأنها فقدت قوتها. يهود إسرائيل يشعرون بأنهم يتجهون إلى تجربة تاريخية مأساوية لا مفر منها. حالة عقول الظلام، والمنفى القاسي تحوم تدريجيا بيننا الآن. وهذه المشاعر يتم التعبير عنها في كل مكان: في الحديث العادي بين الناس، في المقالات، في المقابلات والكتب التي تعكس وجهة نظر مثقفين قياديين إسرائيليين، وفي رسائل إلى المحررين، الخ. الخ.

يهود إسرائيل، فوق ذلك، لا يرون تهديد الجانب الفلسطيني معزولا، بل كجزء من منظومة خطر لا يمكن إغفاله، من قبل دول أخرى مثل لبنان (حزب الله) وسورية وإيران، وعراق صدام حسين حتى السنة الماضية. ويعتقد الإسرائيليون أن هذه الأنظمة تنوي تحطيم إسرائيل، وأن السبب الوحيد الذي يجعلها لا تفعل ذلك حتى الآن هو أنها لا تملك القوة لتفعله. وفوق ذلك فإن معظم الإسرائيليين يرون معاهدات السلام مع مصر والأردن هشة جدا، وتستند إلى مصالح شخصية للحكام الحاليين لتلك البلدان، لا إلى قبول شعبي واسع. ويخشى الإسرائيليون أنه بمجرد سقوط تلك الأنظمة، فإن الحكام الجدد قد ينضمون إلى تحالف القضاء على إسرائيل وإبادة سكانها اليهود. ومع بداية الانتفاضة الحالية، نظم سكان إسرائيل الفلسطينيون مظاهرات عنيفة في بعض الأماكن، مقرونة بدعم شعبي للانتفاضة من قبل بعض زعمائهم. وقد بالغ البوليس الإسرائيلي في رده، وأطلق النار فقتل عددا من المتظاهرين. رأى كثير من الإسرائيليين الأمر مبررا، لأن المظاهرات والهتافات ضد إسرائيل مرتبطة في أذهانهم بما يسمى هاميؤوروت ـ «الأحداث»، المظاهرات الفلسطينية القاتلة ضد اليهود في فترات عديدة خلال الانتداب البريطاني على فلسطين. يهود إسرائيل يخشون أن ينضم مواطنو إسرائيل الفلسطينيون إلى مواطنيهم، وإلى الدول العربية الأخرى، في العمل على القضاء على إسرائيل. ويهود إسرائيل حساسون جدا لما يعتبرونه دعاية مضادة لإسرائيل مما يرى ويسمع في وسائل الإعلام العربية والإسلامية. ومعظم الإسرائيليين يلقون باللوم على فشل محادثات السلام في كامب ديفيد ٢٠٠٠، وما تلا ذلك من انفجار للعنف على الفلسطينيين، وخصوصا على زعيمهم ياسر عرفات. وهم يرون الفلسطينيين كمعتدين، ويرون أنفسهم كضحايا. وهم يعتقدون أنه كان بإمكان الفلسطينيين التوصل إلى اتفاق عادل من خلال المفاوضات السلمية، لكنهم قرروا، كما في الماضي دائما، أن يرفضوا احتمال التسوية السلمية، وأن يلجأوا إلى العنف. ويرى يهود إسرائيل ذلك كعلامة مؤكدة على أن هدفهم الحقيقي قد بقي، كما كان دائما، وهو القضاء على إسرائيل وإبادة سكانها اليهود. لذلك ينظرون إلى ما ارتكبته إسرائيل من أفعال تمت الإشارة إليها، كحق مشروع للدفاع عن النفس. وهذا على أية حال ليس هو الوجه الذي يُرى فيه سلوك إسرائيل من قبل باقي العالم، أو على الأقل من قبل نسبة كبيرة منه. الرأي العام غير اليهودي في كثير من البلدان يميل إلى رؤية إسرائيل في إطار دولة غربية قوية، مدعومة من الولايات المتحدة الأميركية، تستخدم القوة العسكرية المفرطة ضد سكان غير غربيين فقراء لا قوة له يقاتلون بشجاعة من أجل حريتهم وحقوقهم الإنسانية. ومعظم الإسرائيليين يرون وجهة النظر هذه منحازة وغير عادلة. وقد أصبح عدد كبير من الشخصيات العامة غير اليهودية عاطفيين

كاختصاصيين في الصحة النفسية، نحن نعرف أن موقف «الاستمرار كما جرت العادة» يمكن أن يكون، من وجهة نظرنا، مقلقا وغير مطمئن. تحت سطح ذلك يكمن بركان من الغضب. قبل بعض الوقت، نشرت مقالة ما في صحيفة إسرائيلية تناقش ظاهرة مقلقة انتشرت في إسرائيل منذ أيلول ٢٠٠٠ ، الناس الذين يتسمون بكل الخصائص الطبيعية، يهاجم بعضهم بعضا بقسوة، لأسباب صغيرة ومؤسفة، مثل أن يطلب أحدهم من الآخر خفض مستوى صوت الراديو في سيارته. وبعض هذه الحالات من انفجار العنف انتهت بفقدان الحياة.

جدا في تماهيهم مع القضية الفلسطينية، وفي معارضتهم للطرف الإسرائيلي. وهم كثيرا ما يستخدمون لغة قوية يراها الإسرائيليون عدوانية. مقارنة اليهود الإسرائيليين بالنازي أصبحت تعبيرا شائعا. هذه المقارنة بالنسبة لليهود مثيرة للاشمئزاز وغير عادلة على الإطلاق. وكثيرا ما طرح سؤال: هل تملك إسرائيل حقا في الوجود. اليهود يرون أكثر الأمور شرا في «وقاحة الأغيار». وهذه النقلة في الموقف الشعبي المضاد لإسرائيل يبدو أنها ألغت التابو عن الموقف الشعبي المعلن في معاداة السامية، التي لم تعد موجهة نحو إسرائيل فقط، ولكن ضد الشعب اليهودي كله. وحش اللاسامية، النائم في كثير من الدوائر الشريفة منذ الحرب العالمية الثانية، يتضح أنه أخذ يرفع رأسه البشع ثانية. وقد سمعت مؤخرا كثير من التصريحات اللاسامية التقليدية والبدائية المتعصبة التي تبدو وكأنها خارجة من فم أدولف هتلر، على ألسنة شخصيات عامة كثيرة في بلدان أوروبية. وفيما يلي نماذج من ذلك:

« يمكن اعتبار اليهود أمة من القتلة لأنهم كانوا مسؤولون عن موت الملايين في الثورة الروسية» مارتن هوخمان، عضو البرلمان الألماني، تشرين الثاني ٢٠٠٣، (وبعد ذلك أبدى الجنرال رايندهارت غونزيل، قائد الوحدات الألمانية الخاصة، إعجابه بشجاعته في قول هذه «الحقيقة» حول اليهود).

«هذا الشعب الصغير، الشعب اليهودي، هو أصل الشرور في العالم كله» ميكيس ثيودوراكيس، الموسيقار اليوناني الشهير، ١٢/١١/ ٢٠٠٣/ وهذه التصريحات مرتبطة بالتصاعد الحاد في العنف اللفظي والجسدي الموجه إلى الأفراد اليهود، اليافعين وطلاب المدارس، وإلى الكنس ومراكز التجمع في معظم البلدان الغربية.

وقد تجاورت هذه التصريحات والأفعال في أوروبا مع النقد الجماهيري. وفي بعض البلدان العربية والإسلامية وصلت دعاية الكراهية ضد اليهود حدودا وحشية. مهاتير محمد ن وزراء ماليزيا، قال في ١٦/١٠/٢٠٠٣، في مؤتمر للقادة العرب والمسلمين: «اليهود يملكون توكيلا للتحكم في العالم». ولم يعترض أي وفد في المؤتمر على هذه المقولة، ورفض مهاتير محمد أن يعتذر. وفي العام ٢٠٠٣ عرض التليفزيون المصري مسلسلا يستند إلى «بروتوكولات حكماء صهيون»، وهو وثيقة لاسامية مزورة، تم اختراعها من قبل العقول المريضة للبوليس السري في عهد آخر القياصرة الروس. وقد تم توزيعها في روسيا باعتبارها البروتوكولات الرسمية لبعض المهلوسين من «حكماء صهيون» لتقدم وصايا تهدف إلى السيطرة على العالم. هذا الجَلد اللاسامي الذي صمم من أجل تحويل الطاقة الثورية في اتجاه اليهود ككبش فداء، وصف من قبل المسلسل المصري بأنه وثيقة أصلية. ولم تحقق نجاحا كل الاحتجاجات التي رفعت ضد عرض المسلسل.

وكتاب «فطير صهيون» الذي كتبه مصطفى طلاس، وزير الدفاع السوري السابق، من أكثر الكتب مبيعا في الوطن العربي. وهو يعيد دون خجل واحدة من أقبح الادعاءات التاريخية اللاسامية التشهيرية، تهمة الدم، التي اتهم فيها اليهود باستخدام دم أحد أطفال الأغيار، بعد أن قتلوه، في فطير عيد الفصح. وهذه التهمة، بالمناسبة، كانت سببا في مجازر ارتكبت ضد عدد من اليهود في دمشق العام ١٨٤١، وقد نشرت صورة أخرى من تهمة الدم هذه في «الرياض»، جريدة الحكومة السعودية في آذار ٢٠٠٢.

وفي ترابط مع ذلك، حدث ارتفاع حاد في الهجوم على الكنس والمؤسسات اليهودية الأخرى في البلاد العربية والإسلامية، مثل الهجوم بالقنابل على كنيسين في استانبول في الخامس عشر من تشرين الثاني ٢٠٠٣، خلال صلاة السبت.

ما هي الآثار السيكولوجية التي تترتب على هذه الأوضاع لدى يهود

كل ذلك تحول، في وجه واحد منه على الأقل، إلى شظايا بعد أيلول ٢٠٠٠، الإيمان بأن الفلسطينيين رتبوا أنفسهم على قبول الوجود الإسرائيلي وسيطرته على أماكن يعتبرها الفلسطينيون ملكا لهم، ثبت أنه مجرد وهم. وقد أدرك كثير من الإسرائيليين أن ثمن استمرار إسرائيل في السيطرة على الأماكن التراثية الرمزية مثل الخليل وجبل الهيكل لن يكون محتملا، بل هو قريب من المستحيل، لأن ذلك لن يجر على إسرائيل غضب الفلسطينيين وحدهم، بل ربما غضب كل العالم الإسلامي، وربما العالم كله. وهكذا بدا أن عقيدة صهيونية مركزية أخذت تنهار أمام الواقع. كما أن عقيدة صهيونية مركزية أخرى تبدو وكأنها بطلت، وهي التعويل الوحيد على قوتنا العسكرية في مواجهة أعدائنا الذين «ينهضون ضدنا من أجل إبادتنا».

إسرائيل؟ منذ أيلول ٢٠٠٠، يصعب وجود يهودي إسرائيلي لم يصب بالأذى بشكل مباشر أو غير مباشر. لقد فقدنا الحسّ بالأمان الأساسي في حياتنا اليومية. ركوب الباص خطر. الشوارع خطرة. قيادة سيارة أو المشي على الأقدام في الريف خطر. من المحتمل أن تذهب إلى مكان عام مثل مطعم أو مشرب، وتنتهي في المستشفى أو في المقبرة. ويمكن القول إن كل إسرائيلي تقريبا يعرف شخصيا أناسا قتلوا أو جرحوا في الهجمات الفلسطينية ـ أقارب من العائلة، أصدقاء، زملاء. كثيرون يعانون من أعراض خفيفة و حادة لما بعد الصدمة النفسية. مع ذلك، فإن أي زائر لإسرائيل لا يحتمل أن يلاحظ ذلك. يبدو الناس طبيعيين، ويتصرفون بشكل طبيعي. لا يبدو عليهم الحزن في الملامح ولا العصبية. وهم يركبون الباصات والسيارات ويسافرون ويذهبون إلى المطاعم والبارات ويستمتعون. وهنا سأروي قصة شخصية صغيرة. بالإضافة إلى عملي كطبيب نفسي، أنا فنان موسيقى. وقد تعودت أن أعزف مع فرقتي كل جمعة في حانة اسمها «محل مايك» في تل أبيب. قبل بضعة شهور تم تدمير هذا المكان بعملية فلسطينية انتحارية، في ساعة ازدحام. بعض الموسيقيين الذين كنت أعمل معهم قتلوا. عازف الباص في فرقتي احترق حتى حدود الموت. بعد أسبوعين، أعيد بناء محل مايك، وتم افتتاحه. ومنذ ذلك الوقت وهو مزدحم بالناس الذي يستمعون إلى الموسيقى ويشربون ويرقصون ويمتعون أنفسهم. عازف الباص في فرقتي خرج من المستشفى بعد شهرين، وهو الآن ينظم حفلة في محل مايك ليلة كل ثلاثاء، كما كان يفعل من قبل، مع فارق وحيد هو أنه الآن أصلع، وكل جسمه تحت الضمادات.

كاختصاصيين في الصحة النفسية، نحن نعرف أن موقف «الاستمرار كما جرت العادة» يمكن أن يكون، من وجهة نظرنا، مقلقا وغير مطمئن. تحت سطح ذلك يكمن بركان من الغضب. قبل بعض الوقت، نشرت مقالة ما في صحيفة إسرائيلية تناقش ظاهرة مقلقة انتشرت في إسرائيل منذ أيلول ٢٠٠٠ ، الناس الذين يتسمون بكل الخصائص الطبيعية، يهاجم بعضهم بعضا بقسوة، لأسباب صغيرة ومؤسفة، مثل أن يطلب أحدهم من الآخر خفض مستوى صوت الراديو في سيارته. وبعض هذه الحالات من انفجار العنف انتهت بفقدان الحياة.

وليست مثل هذه الاستجابات الواضحة للضغوط هي التي سأركز عليها فيما أقول على أية حال. أود أن أركز على ما هو أعمق من ذلك. من وجهة نظري، فإن الصدمة النفسية التي يعيشها المجتمع اليهودي منذ أيلول ٢٠٠٠ هي طور مقنَّع من الوعي الجمعي الوثيق الصلة بالثقافة. لذلك يأخذ تحليلي بالحسبان كلا من المفاهيم المركزية اليهودية التقليدية، والعقائد الصهيونية الأساسية المتأخرة. فمع أن الشعب اليهودي متنوع ثقافيا إلى حد كبير، إلا أن بعض القناعات المركزية حفرت في أذهان معظم اليهود منذ العصور القديمة. أكثر هذه القناعات ارتباطا بموضوعنا هي التالية:

١. الأمة اليهودية فريدة، معزولة، ومختلفة عن كل الأمم الأخرى. وهذا الإيمان تعززه كلمات التوراة «هو ذا شعب يسكن وحده. وبين الشعوب لا يحسب» كما جاء في صلاة بلعام، سفر العدد، الإصحاح ٢٣ ـ ٩.

٢. الأمم الأخرى والديانات الأخرى ترفض الشعب اليهودي، وهي مصممة على تدميره والقضاء عليه فيزيقيا وروحيا. ويتم التعبير عن هذه القناعة بالكلمات التالية التي تتردد كل عام في عيد الفصح، منذ أكثر

من ألف عام، في كل بقاع العالم: «ليس واحدا فقط هو الذي قام لتدميرنا، ولكن في كل جيل نهض بعضهم ضدنا لتدميرنا». وكما نعرف، فإن بعض المخاوف المرَضية مضطهدة. ولسوء الحظ فإن تاريخ شعبي أثبت هذه الواقعة جزئيا، وبوضوح. ففي القرن العشرين وحده شهد اليهود هذه الأحداث التي كانت تهدف إلى تدميرهم كجماعة:

المجازر في أوروبا الشرقية. بين ١٨٨٠ ـ ١٩٣٩ كان اليهود في روسيا وأوكرانيا وبولندا ورومانيا ضحايا المجازر وأشكال أخرى من الاضطهاد من قبل الرعاع من أعداء السامية. وقد قتل أكثر من ١٠٠,٠٠٠ يهودي. عاش والداي في كيشينيف، في صربيا، وهي أحد مراكز تلك المجازر. والقصص التي كانوا يروونها عن طفولتهما كانت مفعمة بالمشاهد الدرامية عن يهود يهانون ويتعذبون، يقف لها شعر الرأس. وقد هاجر والدي إلى إسرائيل (فلسطين حينئذ) العام ١٩٢٥ بعد أن أجبر على عدم أكمال دراسته الجامعية، من قبل متظاهرين ضد السامية من الطلبة والأساتذة.

والهولوكوست، الذي ارتكبه النازي والمتعاونون معه في معظم الدول الأوروبية وفي فلسطين(!!). وأذكر المتعاونين مع النازي في فلسطين لأن الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس، وزعيم الفلسطينيين الذي لا ينازع حتى الحرب العالمية الثانية، والعقل المدبر للعديد من الهجمات القاتلة ضد اليهود في فلسطين، كان حليفا مقربا لهتلر وآيخمان، وقضى سنوات الحرب في ألمانيا النازية، محاولا أن يقنع هتلر باحتلال فلسطين والقضاء على اليهود فيها.

والهجوم على إسرائيل من قبل جيوش سبع دول عربية عام ١٩٤٨، ثلاث سنوات بعد الهولوكوست، مع نية معلنة لتدميرها وإلقاء اليهود في البحر.

والهاغاداه، صلاة الفصح التلمودية تستكمل العبارة السابقة بكلمات: «والواحد المقدس، ليكن مباركا، خلصنا من بين أيديهم». وسوف أعود إلى هذه الكلمات في مرحلة لاحقة.

٣. الأهمية المركزية لأرض إسرائيل كوطن خالد لليهود بما في ذلك بعض الأماكن الخاصة مثل الخليل، موقع قبور أجدادنا، وفوق كل شيء، جبل صهيون، وموقع الهيكل، وكل القدس كرمز للاستقلال القومي والديني، مقترنة بقناعة مستقبلية ثابتة حول عودة صهيون. ويجب التأكيد على أن هذه المفاهيم والقناعات ليست دينية وحسب، لكنها ثقافية أيضا. لقد كانت جزءا من التكوين الأساسي لجميع اليهود المتدينين والعلمانيين حول العالم منذ العصور القديمة. وكثير من تعبيراتها موجود في الأدبيات اليهودية الدينية والعلمانية في كل الأوقات، وفي القصص الشعبية اليهودية والأشكال الفولكلورية الأخرى وفي كل مظاهر الثقافة اليهودية.

وأنا اصل الآن إلى نقطة شديدة الأهمية: الحركة الصهيونية وتجسيدها في دولة إسرائيل وضعت أمام نفسها هدف التغيير الجذري لهذه المفاهيم الأساسية والقناعات. وكان أحد تطلعاتها هو أن يصبح اليهود «مثل كل الأمم». لا مكان بعد للفرادة أو العزلة، بل أمة طبيعية، أمة مستقلة بذاتها، عضو في الأمم المتحدة، وعضو مساو وطبيعي في الأسرة الدولية. إحدى القناعات التي تم تبنيها في ذلك هو أن هذا التوجه سيقلل من عنف اللاسامية. عندما نتحول إلى أمة عادية، تعيش في وطنها، فإن الأمم الأخرى لن تبقى لديها حوافز لرفضنا والقضاء علينا. وعلى أية حال، فلو أن أية أمة أخرى «قامت ضدنا للقضاء علينا» فإن علينا ألا نستمر في الاعتماد على «الواحد المقدس، ليكن مباركا» حتى «يخلصنا من بين أيديهم» كما كتب في الهاغاداه. يجب أن نعتمد على قوتنا العسكرية الخاصة، التي ندافع بها عن أنفسنا. من هنا جاء التركيز الإسرائيلي على العسكرة. ومن الغريب أن الأصوليين اليهود المعارضين للصهيونية في إسرائيل ما يزالون يتمسكون بالرأي الذي يدعو إلى الاعتماد على الله للدفاع عنا ضد أعدائنا. لذلك يرفضون الخدمة في الجيش. لكن الحركة الصهيونية المتدينة لا تخدم في الجيش وحسب، وإنما تشكل لنفسها مجموعة من كبار ضباط الجيش. أما بالنسبة لبعض الأماكن المركزية في أرض إسرائيل، مثل الخليل والقدس، وجبل صهيون، وجبل الهيكل، فقد حولت الصهيونية ودولة إسرائيل هذه المواقع من مجرد رموز روحية تاريخية إلى وجود مادي واقعي، يمتلكه الناس ماديا، ويدار سياسيا من قبل الشعب الإسرائيلي.

ما هي الآثار السيكولوجية التي تترتب على هذه الأوضاع لدى يهود إسرائيل؟ منذ أيلول ٢٠٠٠، يصعب وجود يهودي إسرائيلي لم يصب بالأذى بشكل مباشر أو غير مباشر. لقد فقدنا الحسّ بالأمان الأساسي في حياتنا اليومية. ركوب الباص خطر. الشوارع خطرة. قيادة سيارة أو المشي على الأقدام في الريف خطر. من المحتمل أن تذهب إلى مكان عام مثل مطعم أو مشرب، وتنتهي في المستشفى أو في المقبرة

حتى أيلول ٢٠٠٠، بدا وكأن هذه الأهداف الصهيونية قد تحققت. أصبحت إسرائيل أمة عادية، مقبولة كعضو مساو في أسرة الأمم. وفي معظم الدول الغربية، لم يعد ينظر إلى اللاسامية كموقف سياسي صحيح.

وطورت إسرائيل جيشا قويا أثبت قدرته على التغلب على كل أعدائها. وقد اعترف الأعداء بقوتها، وبدأوا يوقعون معاهدات سلام معها، واحدا بعد الآخر. وخبت الانتفاضة الأولى التي اندلعت أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، وبدا الفلسطينيون مستعدين لصنع السلام مع إسرائيل، متقبلين معظم المستوطنات في الضفة الغربية من الأردن كحقائق غير قابلة للتغيير. أما مركزية إسرائيل بالنسبة للشعب اليهودي فأعيد تأكيدها بموجة الهجرة الجماعية من الاتحاد السوفييتي السابق. والقدس وجبل صهيون وأماكن أخرى مقدسة من أرض إسرائيل (مثل قبر إبراهيم في الخليل) تمتعت بحالة هشة، لكنها ثابتة نسبيا، بالاتفاق مع المسلمين، مع بعض الصدامات الدينية الدموية بين حين وآخر.

هذه الإنجازات الخاصة بالثورة الصهيونية كان لها أثر مميز على يهود إسرائيل ويهود الخارج. لقد انطبع في نفوس الأفراد اليهود، ربما لأول مرة خلال الألفي سنة الأخيرة من كونهم أمة دون وطن، إحساس بالانتماء إلى دولة طبيعية متحققة وقوية تخصهم، وهي في الوقت نفسه جزء من الأسرة الدولية، وفي ذلك تجربة ذاتية في ما هو طبيعي، وثقة في النفس، وكبرياء، ومساواة، وغياب للشعور الدائم بأنها مضطهدة ومرفوضة ومكروهة.

في الوقت الحاضر، جميع وجهات النظر الإسرائيلية التي اعتبرت من قبل ليس مجرد خطأ سياسي وحسب، وإنما قذارة وعارا، مثل تلك التي تدعو إلى طرد الفلسطينيين، بمن فيهم المواطنون الإسرائيليون، أصبحت مفتوحة في الشوارع وأجهزة الإعلام الجماهيرية، ولا يبدو أي أحد أمامها مصدوما أو فزعا. لقد اعتُبر أريك شارون باستمرار شخصا قاسيا لا يملك أي شعور بالرحمة وعاشقا للحرب كجندي وكسياسي. وسبق أن منعته هيئة قضائية من العمل كوزير للأمن بسبب تورطه غير المباشر في مذابح الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا في لبنان.

كل ذلك تحول، في وجه واحد منه على الأقل، إلى شظايا بعد أيلول ٢٠٠٠، الإيمان بأن الفلسطينيين رتبوا أنفسهم على قبول الوجود الإسرائيلي وسيطرته على أماكن يعتبرها الفلسطينيون ملكا لهم، ثبت أنه مجرد وهم. وقد أدرك كثير من الإسرائيليين أن ثمن استمرار إسرائيل في السيطرة على الأماكن التراثية الرمزية مثل الخليل وجبل الهيكل لن يكون محتملا، بل هو قريب من المستحيل، لأن ذلك لن يجر على إسرائيل غضب الفلسطينيين وحدهم، بل ربما غضب كل العالم الإسلامي، وربما العالم كله. وهكذا بدا أن عقيدة صهيونية مركزية أخذت تنهار أمام الواقع. كما أن عقيدة صهيونية مركزية أخرى تبدو وكأنها بطلت، وهي التعويل الوحيد على قوتنا العسكرية في مواجهة أعدائنا الذين «ينهضون ضدنا من أجل إبادتنا». في قمة موجة العنف الفلسطينية وإلى حد كبير حتى الآن، بدا واضحا أنه لا شيء سيمنع الفلسطينيين من الاستمرار في قتل اليهود الإسرائيليين وإلحاق الأذى بهم: لا الصواريخ ولا القنابل ولا طائرات F١٦، ولا الاغتيالات، ولا حظر التجول ولا حواجز الطرق ولا الجدران. كل هذه تزيد فقط من دوافعهم لمهاجمتنا، حتى وهم يدفعون حياتهم ثمنا لذلك. إنهم يلعبون لعبة الاستغماية، التي يكونون فيها، بوضوح، أمهر من الإسرائيليين. بدأ الإسرائيليون يشعرون بأنهم عاجزون أمام القتلة الفلسطينيين كما كانوا يشعرون خلال كامل تاريخهم كأمة دون وطن. وقد أيقظ هذا الإحساس روابط مع المذابح المنظمة. أحد هذه الروابط يشمل مجزرة الخليل عام ١٩٢٩ التي تعرض لها التجمع اليهودي هناك، عندما هوجم من قبل العامة من أهل الخليل الذين حرضوا ضد جيرانهم اليهود، الجماعة التي عاشت هناك بسلام منذ مئات السنين. فلا الواحد المقدس، ليكن مباركا، ولا البوليس البريطاني، أنقذ هؤلاء الضحايا الأبرياء من أيدي قاتليهم. هذا الشعور بالعجز، بما أيقظه من ذكريات تاريخية، كان له أثره الأكبر في الصدمة النفسية التي حدثت للمجتمع الإسرائيلي. كما وقع الانتباه إلى أمر ثالث مرّ، هو أن العالم بكامله يبدو وكأنه يقف ضدنا من جديد. وكما حدث في تاريخ اليهود، تم تصنيفهم الآن باعتبارهم «الأولاد السيئين»، مرتكبي الشر، لا ضحاياه. وهكذا بدت عقيدة صهيونية أخرى في طريق الانهيار، وهي أنه من خلال إقامة دولة قوية ومستقلة للشعب اليهودي ستصبح دولة طبيعية، لا دولة تسكن وحدها، وبين الدول لا تحسب، ولا شعبها كريه تقوم الشعوب الأخرى ضده حتى تبيده.

باختصار، منذ أيلول ٢٠٠٠، تظهر الثورة الصهيونية أمام العديد من الإسرائيليين وكأنها فقدت قوتها. يهود إسرائيل يشعرون بأنهم يتجهون إلى تجربة تاريخية مأساوية لا مفر منها. حالة عقول الظلام، والمنفى القاسي تحوم تدريجيا بيننا الآن. وهذه المشاعر يتم التعبير عنها في كل مكان: في الحديث العادي بين الناس، في المقالات، في المقابلات والكتب التي تعكس وجهة نظر مثقفين قياديين إسرائيليين، وفي رسائل إلى المحررين، الخ. الخ. وفيما يلي شهادتان من مقابلة مع عاموس عوز وديفيد غروسمان، وكلاهما كاتب إسرائيلي معروف عالميا، وقائد في اليسار الإسرائيلي الليبرالي (هآرتس ٢٠٠٣/١/١٠):

غروسمان: منذ بداية الانتفاضة الحالية، التي تبعتها نزعة لاسامية، وهجمات على الإسرائيليين حول العالم، تغير شيء ما فينا. أعتقد أن الإسرائيلي الحديث، من جيلي، الذي ظن أنه أصبح كونيا... بدأ يشعر فجأة بأن العنصر المأساوي من القدر اليهودي يغلق عليه من جديد... فجأة وقع في فخ شيء تصور أنه لم يعد موجودا بعد... الصهيونية

التحليل السطحي ذو البعد الواحد لأسباب الوضع الحالي وطرق حلها: وهناك نموذج مميز لذلك، وهو رؤية منتشرة، ليس وسط الناس العاديين وحسب، لكن بين السياسيين والضباط القياديين في الجيش والمنظمات الأمنية، الخ، تقول إن حملة العنف كانت معدة من قبل، نظمت وخطط لها من قبل (الرئيس الفلسطيني الراحل) ياسر عرفات والسلطة الفلسطينية تحت قيادته. والحل يكمن إذن في نفي ياسر عرفات وتحطيم السلطة الفلسطينية. ودون تجاهل شواهد على أن عرفات وبعض أجزاء السلطة الفلسطينية تورطوا في مراحل عدة من حملة العنف الحالية، فإن هذه الرؤية في كل احتمالاتها تبسيط خطير،

جلبت الشفاء منه، وأعادتنا إلى ما هو عملي وإنساني وتاريخي، أما الآن فإننا نعود إلى الماضي. وهذا يعزز مشاعر الاضطهاد الموروثة فينا، ويسحبنا إلى جرح كوننا يهودا، إلى مظاهر الضحايا والصدمات فيه».

عوز: باستثناء إسرائيل، ليست هناك دولة في العالم يعتبر وجودها ذاته مشروطا. مع حسن السلوك ـ سوف تعيش. مع سوء السلوك ـ سوف تفكك.

وكما هي الحالة في كل صدمة نفسية، معظم الإسرائيليين لا يستطيعون دمج هذه التجارب المرهقة مع نظامهم العاطفي المشابه. هذه التجارب تتنافر مع الطريقة التي تكيفوا فيها اجتماعيا منذ الثورة الصهيونية. وكما قيل من قبل، عندما لا يستطيع الإنسان استيعاب تجربة صادمة في نظامه، فإنه يميل إلى المبالغة في تبسيطها، حتى على حساب حكم واقعي صحي ومتوازن. الأنماط المميزة للتبسيط انتقائية، محدودة في استخدام المعلومات، تكتفي بما يناسب تجربة الصدمة الداخلية لتحسب له حسابا، تتبني وجهة نظر ذات اتجاه واحد، سطحية، مستقطبة، مبالغا في واقعيتها وفي ميلها إلى الدخول في نوبة «المزيد من الأمر نفسه»، من مضاعفة القوة للتوصل إلى حلول سبق أن فشلت. هذا النوع من التبسيط يمكنه أن يقود شخصا، وفي هذا الشأن، دولة، إلى تبني حالات عقلية خاطئة ومختلة وظيفيا، وسلسلة من الأفعال التي تجعل المشكلة أكثر صعوبة بدلا من حلها. وأستطيع أن أبين مجموعة ردود أفعال اختلال وظيفي في التبسيط:

(١) التحليل السطحي ذو البعد الواحد لأسباب الوضع الحالي وطرق حلها: وهناك نموذج مميز لذلك، وهو رؤية منتشرة، ليس وسط الناس العاديين وحسب، لكن بين السياسيين والضباط القياديين في الجيش والمنظمات الأمنية، الخ، تقول إن حملة العنف كانت معدة من قبل، نظمت وخطط لها من قبل (الرئيس الفلسطيني الراحل) ياسر عرفات والسلطة الفلسطينية تحت قيادته. والحل يكمن إذن في نفي ياسر عرفات وتحطيم السلطة الفلسطينية. ودون تجاهل شواهد على أن عرفات وبعض أجزاء السلطة الفلسطينية تورطوا في مراحل عدة من حملة العنف الحالية، فإن هذه الرؤية في كل احتمالاتها تبسيط خطير، دافعه الحاجة إلى التوصل إلى عنوان وحيد محدد وسبب. داني روبنشتاين، وهو صحفي إسرائيلي مهم، متخصص في شؤون الشرق الأوسط، يكتب في هآرتس في التاسع عشر من كانون الثاني ٢٠٠٣: «ليس عرفات ومساعدوه في قيادة السلطة الفلسطينية وحدهم، بل هناك شخصيات فلسطينية أكاديمية، وشخصيات عامة، وصحفيون، يتحدثون الآن بأساليب غير يقينية عن الهجمات الإرهابية. المشكلة هي أن دعم الإرهاب يأتي الآن من الجذور: من أولئك الفلسطينيين الذين يشعرون بجوع مرّ للانتقام، أولئك الذين فقدوا مصدر رزقهم في إسرائيل، ممن يعيشون ظروفا مهينة، ويرون قيادتهم في السلطة الفلسطينية كحزمة من أشخاص فاسدين».

(٢) المبالغة في الشعور بالاستقامة، التي تقود إلى التعامي عن المشاركة في المسؤولية الأخلاقية: إن الصدمة النفسية الجماعية التي تعم يهود إسرائيل تجعل العديد منهم مكفوفين داخل جانبهم من الصراع. هذا العمى الأخلاقي يشارك فيه عدد كبير من المثقفين الإسرائيليين والشخصيات العامة ممن كانوا معروفين من قبل بحساسيتهم الأخلاقية والميل الحاد في اتجاه العدالة. النموذج المتميز لذلك هو «المؤرخ الجديد» بيني موريس. في كتابه «مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين» يدحض

هذا النوع من التبسيط يولِّد رهاب الأجانب، وهو موقف بارانووي تجاههم. التجلي الشهير لهذا الرهاب قائم في طريقة التعامل مع الصحافيين الأجانب وشبكات التليفزيون وناشطي السلام في إسرائيل. لقد هددت الحكومة برفض التصريح الممنوح للسي أن أن الدولية للبث من إسرائيل ولها بسبب الزعم أن تقاريرها منحازة. وقد راقبت السي أن أن مرات عديدة، ولم أر رسائل غير متوازنة. أما المراسلون الأجانب، فيعاملون في إسرائيل هذه الأيام كعملاء مستفزين. وكثيرا ما يبعدون، وترفض تصاريح إقامتهم في إسرائيل، وتقيد حريتهم في الحركة. في هذا الاتجاه، تتصرف إسرائيل الآن مثل نظام شمولي بدلا من نظام ديموقراطي.

المزاعم الرسمية الإسرائيلية حول ترك الفلسطينيين لمنازلهم عام ١٩٤٨ وهربهم بسبب تشجيع القادة العرب لهم. وقد أوضح في مواضع عدة أن الفلسطينيين طردوا بالقوة، وأن قراهم هدمت كجزء من السياسة الرسمية. كما وثّق لعدد من المجازر التي ارتكبتها الوحدات الإسرائيلية. وحتى أيلول ٢٠٠٠، كان في كل ظهور عام له في إسرائيل والخارج، يدعو إلى الاعتراف بمسؤوليتنا الأخلاقية عن هذه السياسة وآثارها العدائية الطويلة المدى على الصراع العربي الإسرائيلي. ومنذ أيلول ٢٠٠٠ فإن بيني موريس نفسه، في كل ظهور عام له في إسرائيل والخارج، يستمر في تبرير طرد الفلسطينيين على كل الخلفيات الأخلاقية والعسكرية والسياسية. في الوقت الحاضر، جميع وجهات النظر الإسرائيلية التي اعتبرت من قبل ليس مجرد خطأ سياسي وحسب، وإنما قذارة وعارا، مثل تلك التي تدعو إلى طرد الفلسطينيين، بمن فيهم المواطنون الإسرائيليون، أصبحت مفتوحة في الشوارع وأجهزة الإعلام الجماهيرية، ولا يبدو أي أحد أمامها مصدوما أو فزعا. لقد اعتُبر أريك شارون باستمرار شخصا قاسيا لا يملك أي شعور بالرحمة وعاشقا للحرب كجندي وكسياسي. وسبق أن منعته هيئة قضائية من العمل كوزير للأمن بسبب تورطه غير المباشر في مذابح الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا في لبنان. لكنه بعد أيلول ٢٠٠٠ اختير رئيسا للوزراء بأكثرية ساحقة من الإسرائيليين، ثم تأكد اختياره ثانية، ليس رغم، ولكن بسبب سياسته العسكرية القاسية. في الحلة المضادة قتل كثير من الفلسطينيين الأبرياء. الجنود الإسرائيليون والمستوطنون يعاملون الفلسطينيين بقسوة ويهينونهم. الحاخام يوسيف، حاخام شاس، الذي كان ينظر إليه كمحب للسلام ذي مستوى أخلاقي رفيع، ويحظى بإعجاب اليهود السفارديم، تحدث مؤخرا عن العرب بلغة تصدم، وترتفع إلى درجة التحريض على قتلهم. ووزارة المعارف الإسرائيلية أخذت تقحم الفكر الصهيوني في المدارس، وهو فكر يتجاهل المظالم التي ارتكبها المستوطنون ضد الفلسطينيين منذ نهاية القرن التاسع عشر، ومن أقدمها الاستيلاء المستمر على الأرض. لقد عانى الفلسطينيون تحت اليد الثقيلة للإسرائيليين سنوات عديدة، لكن عددا قليلا من الإسرائيليين يهتم أو يعارض. تعود اليهود أن يصفوا أنفسهم بأنهم رحماء، ونسل شعب رحيم. وتميزت اليهودية دائما بمستوياتها الأخلاقية العالية. وتعود بن غوريون على القول: قوتنا تكمن في المستوى العالي لأخلاقنا. لا شيء من ذلك موجود في إسرائيل اليوم، رغم أن الإسرائيليين ما زالوا يفضلون أن يصفوا جيشهم بأنه «أكثر الجيوش خلقا في العالم».

(٣) رهاب الأجانب، وهو ما يعمم قناعة أن «العالم كله ضدنا»: صحيح أن إسرائيل أصبحت موضوع نقد حاد وانفجار عداء منذ أيلول ٢٠٠٠ من عدة اتجاهات: (١) المثقفون والشخصيات العامة في الغرب، خاصة أوروبا والحرم الجامعي في الولايات المتحدة، بسبب ما اعتبر مبالغة في استخدام القوة العسكرية، ونقصا في المرونة في التعامل مع حملة الإرهاب ضدها، وبسبب استمرارها في الاحتلال العسكري وتوسيع الاستيطان اليهودي في الأراضي المحتلة. وفي بعض الحالات كان هذا النقد ذا بعد واحد ويفتقر إلى الحساسية (٢) العالم العربي والإسلامي، الذي تماهى مع معاناة الفلسطينيين ووجه اللوم إلى إسرائيل. خاصة الدوائر الإسلامية التي تميل إلى استخدام لغة عنصرية مفترية ومحرِّضة (٣) العناصر اللاسامية التي استغلت الجو المعادي لإسرائيل لبث أهدافها الشائنة. هذه هي الحقائق. لكن إسرائيل تبسطها في ثلاث طرق: (أ) يفشلون في التمييز بين هذه الأنواع الثلاثة من النقد (ب) ينسبون

الأنواع الثلاثة إلى سبب واحد: اللاسامية الواضحة أو الخفية. والحقيقة هي أن نقد العرب والمسلمين له دوافع تنضوي تحت مشاعر عربية إسلامية موجهة ضد الغرب عموما، وضد الولايات المتحدة وإسرائيل محميّتها على وجه الخصوص. أما دافع النقد الأوروبي فيأتي من المعارضة الحالية للاستعمار والاتجاه العسكري، والإحساس بالذنب والاحترام للعالم الثالث، وفوق ذلك، انطلاقا من اهتمام السياسيين الأساسي: المصالح الاقتصادية والسياسية (ج) وهم يعممون النقد، مصدقين أن العالم كله يقف ضدنا بالفعل. هذا التعميم يقود إلى الخطأ. وهو يتجاهل مجموعة مختلفة من الحقائق: الدعم القوي لإسرائيل من إدارة الولايات المتحدة والرأي العام فيها. الإدانة القوية للأعمال الإرهابية ولسياسة عرفات من قبل الرأي العام الغربي. المحاولات المستمرة التي تبذل لجمع الطرفين على طاولة المفاوضات واستئناف العملية السلمية، ليس بواسطة حكومة الولايات المتحدة ومختلف الدول الأوروبية فقط، ولكن من قبل بعض الدول العربية أيضا، مثل مصر والأردن والعربية السعودية. ويتجاهل معظم الإسرائيليين الجهود المشتركة بين قادة فلسطينيين وإسرائيليين وشخصيات عامة للبحث عن قاعدة للتسوية والسلام، مثل مبادرة جنيف والمؤتمر السكاني العالمي (د) كثيرا ما يرون النقد الذي يحاول أن يكون موضوعيا ومنصفا للطرفين، كنقد منحاز إلى الجانب الفلسطيني.

هذا النوع من التبسيط يولِّد رهاب الأجانب، وهو موقف بارانووي تجاههم. التجلي الشهير لهذا الرهاب قائم في طريقة التعامل مع الصحافيين الأجانب وشبكات التليفزيون وناشطي السلام في إسرائيل. لقد هددت الحكومة برفض التصريح الممنوح للسي أن أن الدولية للبث من إسرائيل ولها بسبب الزعم أن تقاريرها منحازة. وقد راقبت السي أن أن مرات عديدة، ولم أر رسائل غير متوازنة. أما المراسلون الأجانب، فيعاملون في إسرائيل هذه الأيام كعملاء مستفزين. وكثيرا ما يبعدون، وترفض تصاريح إقامتهم في إسرائيل، وتقيد حريتهم في الحركة. في هذا الاتجاه، تتصرف إسرائيل الآن مثل نظام شمولي بدلا من نظام ديموقراطي. ويفشل الإسرائيليون في تقدير حجم الضرر الذي يحدث لصورة إسرائيل في العالم بسبب هذا الموقف الغبي من الصحافة العالمية. ونشيطات السلام اللواتي لا هدف لهن سوى المزيد من معرفة ماذا يحدث في إسرائيل، والمساعدة على السلام والتفاهم، تتم معاملتهن كجاسوسات وعدوات. إنهن يعتقلن ويستجوبن ويبعدن.

(٤) الفزع الذي يقود إلى توقعات غير متزنة حول كارثة تقترب: عدد كبير من الناس في إسرائيل يتحدث عن هدم الهيكل الثالث، الذي سيتزامن مع التفكك الداخلي للمجتمع الإسرائيلي، ومع إفلاس اقتصادي وهجمات عدو خارجي. هذه الرؤى القاتلة تضاعف تبسيط التعقيدات في واقعنا الحالي. إنهم يتجاهلون الحقائق المعروفة: مصر والأردن لم تلغيا اتفاقات السلام مع إسرائيل، وانضمتا إلى السعودية في الضغط على السلطة الفلسطينية حتى تتوقف عن العنف وتستأنف المفاوضات السلمية. ولا توجد دولة في العالم لها علاقات سياسية أو تجارية مع إسرائيل قطعت هذه العلاقات منذ أيلول ٢٠٠٠، وخلف الأصوات الناقدة، لم يوجه ضغط حقيقي على إسرائيل منذ أيلول ٢٠٠٠ كي توقف حملتها الإرهابية المضادة أو كي تغير سياساتها. الاقتصاد الإسرائيلي في وضع سيء، لكنه بعيد عن الانهيار. المكونات الإثنية والدينية والسياسية في إسرائيل يهاجم بعضها بعضا بالكلام، خاصة في وسائل الاتصال، وهم يستخدمون لغة قاسية، ولكن ذلك بعيد عن أن يكون من أعراض مجتمع يتفكك. بل بالعكس من ذلك، وهذا اعتراف خارجي بحقيقة، فإن التجمعات التي كانت ترى نفسها، أو كان ينظر إليها كغريبة، أو كأنها دون قوة اجتماعية أو سياسية، مثل الأصوليين المتطرفين، والطبقة الدنيا من اليهود الشرقيين، والمستوطنين في الأراضي المحتلة، والقادمين الجدد، ومواطني إسرائيل الفلسطينيين، أخذت تكتسب قوة اجتماعية واقتصادية وسياسية، تجعلها جزءا من تيار المؤسسة الرئيسي، وتكسبها ثقة بالنفس، ولذلك باتت تسمح لنفسها بأن تكون أقل جبنا وتهذيبا.

(٥) «عمل المزيد من النوع نفسه». تكثيف جولات الفعل التي أثبتت فشلها: إسرائيل تستمر في استخدام الوسائل القاسية التي أثبتت أنها غير مؤثرة ولا تنتج إلا مزيدا من التصعيد، مثل اغتيال القادة، وضع حواجز على الطرقات وتدمير بيوت عائلات الناشطين، وبدلا من نقل المستوطنين من المناطق الحساسة، يسمح لهم بأن يملكوا المزيد والمزيد من القوة والقدرة على مضايقة السكان الفلسطينيين.

ملخص القول: حاولت هنا أن أتغلب على عواطفي الخاصة وقلقي الروحي، وحيرتي، وأن أحاول تفسير ما يحدث لنا نحن الإسرائيليين في المسائل العقلية. في هذه المحاولة استعرت مفاهيم استخدمها في الغالب في تفسير السلوك الفردي المرضي والاختلال الوظيفي في العائلة، لأستخدمها في المشكلة الإسرائيلية اليهودية في التكيف مع الموجة الحالية للعنف الإسرائيلي الفلسطيني. أبرز الأفكار التي استخدمت في التحليل هي : (أ) الصدمة النفسية تتوسطها الثقافة (ب) الصدمة النفسية تسبب تحريفا في المعلومات يقود إلى التكيف المختل وظيفيا.